

وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
 أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

المعنى الإجمالي (175-176):

كما أخبر تعالى عنهم في الآية (175) أنهم وهم البعداء اشتروا الضلالة بالهدى أي الكفر بالإيمان، والعذاب بالمغفرة أي النار بالجنة، فما أجراً هؤلاء على معاصي الله، وعلى التقحم في النار، فلذا قال تعالى: {فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ}. وكل هذا الذي تم مما توعد الله به هؤلاء الكفرة؛ لأن الله نزل الكتاب بالحق مبيناً فيه سبيل الهداية وما يحقق لسالكه من النعيم المقيم ومبيناً سبيل الغواية وما يفضي بسالكه إلى غضب الله وأليم عذابه. وفي الآية الأخيرة (176) أخبر تعالى أن الذين اختلفوا في الكتاب التوراة والإنجيل وهم اليهود والنصارى¹ لفي عداً واختلاف بينهم بعيد، وصدق الله فما زال اليهود والنصارى مختلفين متعادين إلى اليوم، ثمرة اختلافهم في الحق الذي أنزله الله وأمرهم بالأخذ به فتركوه وأخذوا بالباطل فأثر لهم الشقاق البعيد.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
 اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا
 أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ
 بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

الإعراب (175-176):

(أولاء) اسم إشارة مبتدأ (الذين) اسم موصول خبر (اشترؤا) فعل ماض مبني على الضم.. والواو فاعل (الضلالة) مفعول به منصوب (بالهدى) جارّ ومجرور متعلّق ب (اشترؤا) بتضمينه معنى استبدلوا وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (العذاب) مفعول به لفعل محذوف تقديره اشترؤا (بالمغفرة) مثل بالهدى ومتعلّق بالفعل المحذوف (الفاء) استئنافية (ما) تعجّبية نكرة تامّة بمعنى شيء في محلّ رفع مبتدأ «1» ، (أصبر) فعل ماض جامد لإنشاء التعجّب مبني على الفتح و (هم) ضمير في محلّ نصب مفعول به ، والفاعل ضمير مستتر وجوبا تقديره هو يعود على ما (على النار) جارّ ومجرور متعلّق ب (أصبر).

(ذا) اسم إشارة مبني في محلّ رفع مبتدأ والاشارة إلى أكلهم النار لكتمانهم ما أنزل الله و (اللام) للبعد و (الكاف) للخطاب (الباء) حرف جر (أنّ) حرف مشبّه بالفعل (الله) لفظ الجلالة اسم أنّ منصوب (نزل) فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (الكتاب) مفعول به منصوب (بالحقّ) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من الكتاب.

(الواو) استئنافية (إنّ) مثل أنّ (الذين) اسم موصول مبني في محلّ نصب اسم إنّ (اختلفوا) فعل ماض مبني على الضم.. والواو فاعل (في الكتاب) جارّ ومجرور متعلّق ب (اختلفوا) ، (اللام) هي المرحلة تفيد التوكيد (في شقاق) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر إنّ (بعيد) نعت ل شقاق مجرور مثله.

إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألقي سمعك واحضر

حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فانه خطاب منه لك على لسان

رسوله. قَالَ تَعَالَى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}.

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض ومحل قابل وشرط لحصول

الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه

وأدله على المراد:

فقوله {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى} إشارة إلى ما تقدم من أول السورة الى ههنا وهذا هو

المؤثر.

وقوله {لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ} فهذا هو المحل القابل والمراد به القلب الحي الذي

يعقل عن الله، كما قال تعالى {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} أي

حي القلب.

77 - عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ" أَخْرَجَهُ السَّبْعَةُ .

ما يؤخذ من الحديث:

1 - قوله: "إذا دخل الخلاء" المراد أراد دخوله؛ كقوله تعالى: {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (98)} [النحل] يعني: إذا أردت قراءته، وجاء في الأدب المفرد للبخاري عن أنس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلَاءَ، قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ".

2 - هذه الاستعاذة ليحْصُنَ بها المسلم نفسه من محاولة الشيطان إيذاءه وتنجيسه، حيَّ لا تصحَّ عبادته، فما دام النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المؤيَّد بعصمة الله يخاف من الشِّرِّ وأهله، فالجديرُ بنا أَنْ يَكُونَ خَوْفُنَا أَشَدَّ.

3 - أَنَّ الإِمَكْنَةَ النِّجْسَةَ وَالْقَذَرَةَ هِيَ أَمَاكُنُ الشَّيَاطِينِ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا وَتُقِيمُ فِيهَا.

4 - الِاتِّجَاءُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالِاعْتَصَامُ بِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَبِزُرُورِهِمْ، فَهُوَ الْمُنْجِي مِنْهُمْ، وَالْعَاصِمُ مِنْ بِيْرِهِمْ.

5 - وَجُوبُ اجْتِنَابِ النِّجَاسَاتِ، وَعَمَلُ الْإِسْبَابِ الَّتِي تَقِي مِنْهَا؛ فَقَدْ صَحَّ فِي الْإِحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ عَدَمُ التَّبَرُّعِ مِنَ الْبَوْلِ.

6 - فضيلة هذا الدعاء والذكر في هذا المكان؛ فكلُّ وقتٍ ومكان له ذكرٌ خاصٌّ، والذي يلزم عليه يكونُ من الذاكرين الله كثيراً والذَّكَّرات.

7 - قال الحسن البصري: "اللهم" هي مَجْمَعُ الدعاء؛ فالدعاءُ بلفظ "اللهم" يعني "يا الله"، وهو سؤالُ الله بجميع أسمائه وصفاته؛ فهو دعاءُ بالأسماءِ الحسنى والصفاتِ العلى.

8 - الاستعاذةُ مُجْمَعٌ على استحبابها، سواءً في البنيان والصحراء.

9 - الإمكانة الطيبة كالمساجد يُسرَّعُ عندها أذكارٌ وأدعية، تناسب ما يرجى فيها من رحمة الله وفضله، والإمكانةُ الخبيثة كالحشوش يناسب دخولها أذكارٌ بالبعد عما فيها من خبائث الجنِّ ومردة الشياطين.

10 - الإمكانة الطيبة مأوى الملائكة الكرام الررة، والإمكانة الخبيثة مأوى الشياطين؛ قال تعالى: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور: 26]؛ فكلُّ فيه ما يناسبه.

11 - فيه إثباتُ وجود الجنِّ والشياطين، فإنكارهم ضلالٌ وكفرٌ؛ لأنه ردُّ لصريح النصوص الصحيحة، وهو نقصٌ في العقل، وضيقٌ في التفكير؛ فإنَّ الإنسان لا ينكر ما لم يصل إليه علمه، وإنما إذا كان لا يؤمن بالوحي- يتوقف؛ فإنَّ اكتشاف المجهولات يطالعنا كل وقتٍ بجديد؛ {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)} [الإسراء].

12 - الأرواحُ الخبيثةُ السَّريَّةُ موجودةٌ منتشرة، لا سيما عند الإنفس القابلة لها، وكذلك توجد في الأماكن القذرة، أو في البيوت التي تكثر فيها المعاصي وتظهر ويقل فيها ذكر الله، وطردُ هذه الأرواح الخبيثة من الأجسام والبيوت لا يكونُ بالذهاب إلى أصحاب الدجل ومدَّعي علم الغيب، أو بتخير الأماكن، ونحو ذلك، وإنما يكونُ بالأوراد والرقى السَّريَّة.

13 - قال ابن الملقن ما معناه: الظاهر أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يجهر بهذا الدعاء في هذا المكان، فهو أظهرٌ من أنَّه يُخبر عن نفسه، من أنَّه كان يفعله.

